# احتفالات يناير عند أمازيغ الجزائر بين الأمس واليوم - دراسة في الأنساق الثقافية المضمرة

**طالبة دكتوراه: عقون حنان**
**جامعة الشاذلي بن جديد – الطارف**
hanou.aguo31@gmail.com

| تاريخ الإرسال | تاريخ القبول | تاريخ النشر |
|---|---|---|
| 2017-08-14 | 2018-04-27 | 2018-06-26 |

## ملخص البحث

تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان أوجه الثقافة المتعددة التي تتجسد كأنساق ثقافية مضمرة متخفية تحت أقنعة متنوعة منها قناع العادات والتقاليد التي اخترنا منها كموضوع للدراسة والبحث احتفالية يناير عند أمازيغ الجزائر من خلال استثارة هذا الفعل النسقي ،وأهم ما يصبو إليه البحث هو الوقوف على مدى تأثير ثقافة الأنا والآخر على التعايش والتواصل الحضاري في إطار الوحدة،ونبذ فكرة الهيمنة المركزية وإقصاء ثقافة الهامش.وجاءت النتائج كما يلي: صراع الأنساق من أجل الهيمنة المركزية بين النسق الطبيعي لأصالة احتفالية يناير وبين النسق السياسي لمظاهر الاحتفال المعاصرة ،الكشف عن الأنساق المضمرة يسمح بالتعرف على الثقافة كعامل حاسم في تكوين الحضارات ونموها وتطورها

**الكلمات المفتاحية**:النقد الثقافي؛الأنساق المضمرة؛العادات والتقاليد؛احتفالات يناير.

## Abstract

This article aims to show the different cultures sounds heard hidden under multiple masks including customs and traditions, which we have chosen as the subject of study and research the celebration of Yennayer among the Amazigh of Algeria by the " Excitement of this act of fashion and the most important of this research and determine the influence of the culture the Ego and the Other on coexistence and cultural communication in the framework of unity. The results are presented as follows: The conflict of the modes for the central domination between the natural mode for the authentic of the celebration of Yennayer and the political mode of manifestation of contemporary celebrations, the detection of implicit modes aims to identify the culture as a decisive factor in the formation and development of civilizations.

**Key words**: cultural criticism-implicit-modes-customs and tradition-the celebration of Yenner

**مقدمة**

تعتبر الثقافة بما تشتمل عليه من معارف وتجارب وخبرات إبداعية من أهم ما يميز الشعوب وتتفرد به شخصيتها،فثقافة أي مجتمع هي مجمل تراكم الحراك الإبداعي والمعرفي وخلاصة التجارب والمكتسبات الحياتية المعبرة عن الخصوصية والتمايز.وتعد الثقافة الشعبية جزءا من هذا التحصيل الهائل الذي اكتنزته الثقافة الأم على مدى عصور،فهي ذلك الجزء الذي يمثل التفاعل مع الآخر عبر الأجيال،وهي تشكل عالما رحبا من الدلالات والرموز التي اختزنت داخل الذاكرة الجمعية ،لتطفو على السطح على شكل سلوكات وأقوال انتقلت من بيئة الى أخرى لتشكل موروثا ،سواء ظل على هيئته أو تحول إلى دلالات رمزية مبثوثة في أشكال تراثية جديدة أنتجتها المخيلة الشعبية،وهذا ما يحاول النقد الثقافي دراسته وتحليله من خلال كشف الأنساق الثقافية المضمرة والمتخفية داخل هذا الإبداع الشعبي الذي له نسبة مقبولية جماهيرية واسعة فهذه الاستجابة تحركنا نحو البحث في هذا الفعل النسقي ممثلا في احتفالات يناير عند امازيغ الجزائر أنموذجا ومحاولة رصد أنساقه المضمرة من خلال هذه الدراسة التي سنعالج فيها الاشكاليات التالية :ما طبيعة احتفالات يناير بين الأمس واليوم؟هل يمكن رصد الخلفية الثقافية الحقيقية لهذه الاحتفالات؟

ولطرح هذه الدراسة اعتمدت على بعض الخطوات المنهجية كضبط مفاهيم بعض المصطلحات كمصطلح العادات والتقاليد والنقد الثقافي وكذا الانساق الثقافية،لنقف بعدها وقفة تحليلية لمظاهر احتفالات يناير ورصد بعض الأنساق المضمرة التي يمكن استنباطها لنختم بجملة من النتائج المتوصل اليها.

ضبط المفاهيم:

**أولا:العادات والتقاليد**

إن العادات والتقاليد مرتبطة بالسلوك اليومي للإنسان في تفاعله مع نفسه أو مع الآخر،ولها قدسيتها المستقاة من الجانب الإعتقادي عند الناس.

فالعادة الشعبية سلوك جمعي،عام،متكرر،يمارسه مجتمع ما،في منطقة ما،أو أكثر،جماعات أو أفراد،لحاجة ما أمنية أو صحية أو تربوية أو ترفيهية(...)،أما التقليد فتكون بدايته غالبا بعمل مبتكر ،وفكرة مبتكرة من أحد الأذكياء من قضاة شعبيين أو حرفيين أو فنانين...فتنال الفكرة الجديدة والعمل الجديد استحسانا من المهتمين بها،فيتبعونها فتصير تقليدا متبعا،وعرفا شائعا،له حكم القانون(1)

إن هذا التلقي المجسد كسلوك فردي وجماعي في آن واحد يجعل من العادات والتقاليد الوعاء الذي يحتضن كثيرا من المعارف والمعتقدات ،والفنون ،وأشكال الأدب الشعبي، واتصاله بالجانب المادي لهذا التراث يتجسد من خلال جملة الممارسات التي تصاحبها.

وكثيرا ما نجد العادة منعكسا لمعتقد شعبي ونظرا للترابط الملموس بين العادة والمعتقد جعلت بعض المصنفين يجمعون العادات والتقاليد مع المعتقدات الشعبية في قسم واحد في تصنيفاتهم(2).

إن هذا الترابط بين العادات والتقاليد وبين المعتقدات الشعبية أضفت عليها قدسية جعلت الأفراد يخضعون لها دون وعي أو مساءلة عن سببها أو الغاية منها،حيث يرى طلال حرب أنهم يمارسونها"من غير أن يعلموا حقيقة الأسباب التاريخية التي دفعت إليها"(3) .

ويقسم عبد الحميد بورايو العادات والتقاليد إلى مايلي:

1-دورة الحياة(الميلاد والختان،الزواج،الوفاة،...)

2-الأعياد والمناسبات المرتبطة بدورة العام(الأعياد الدينية،الأعياد الوطنية،احتفالات المناسبات الزراعية...)

3-المعاملات الاجتماعية بين أفراد الجماعة(الاستقبال،التوديع،الضيافة،علاقة الصغير بالكبير،علاقة الغني بالفقير،علاقة الذكر بالأنثى...)(4)

إن هذه العادات والتقاليد محفوظة في الذاكرة الجمعية والامتثال لها عن طريق الممارسة دليل على وحدة المجتمع وارتباط أفراده فيما بينهم ودليل على تشبثهم بهويتهم.

يقول محمد سعيدي:"إن المعتقدات والخرافات الشعبية منفذا من المنافذ الأساسية لدراسة عقلية الشعوب ومدخلا مهما من أجل اقتحام فضاءاتها العقائدية والفكرية وممارساتها الباطنية المختفية منها والظاهرة الجلية فهي تترجم أيضا مستويات التفكير الشعبي وحركيتة داخل فضاءات مادية وروحية خاصة"(5).

إن هذا الطرح لمحمد سعيدي يتفق مع ما يذهب إليه "عبد الله محمد الغذامي" الذي يرى في هذه الفضاءات الشعبية مجالا للتعمق في ثقافة المجتمع من خلال استنباط واستقراء مستويات تفكيره بكشف أنساقه الثقافية المضمرة التي هي مجال بحث النقد الثقافي فماهو النقد الثقافي؟وماهي الأنساق الثقثافية؟

**ثانيا:النقد الثقافي**

النقد الثقافي نشاط فكري يتخذ من الثقافة على اختلاف أبعادها موضوعا لدرسه وبحثه،فهو نشاط يتفاعل مع المفاهيم والنظريات في قراءة الفنون والنصوص واستنطاقها ثقافيا،من أجل قراءة الأفكار والأنساق والاتجاهات بغية التعمق في الثقافة وفعلها ويعد"فنسنت ليتش" أول من استعمل مصطلح النقد الثقافي وأراد الاشارة الى نوع من النقد يتجاوز البنيوية وما بعدها،والحداثة وما بعدها الى نقد يستخدم السوسيولوجيا والتاريخ والسياسة والمؤسساتية دون أن يتخلى عن مناهج النقد الأدبي وأهم ما يقوم عليه هذا الأدب الجمالي الرسمي إلى تناول الإنتاج الثقافي أيا كان نوعه ومستواه(6).

فالنقد الثقافي إذن من وجهة نظر" ليتش"هو الذي يدرس الأدب الفني الجمالي كما يدرسه النقد الأدبي ليتجاوزه إلى اعتبار النصوص ظاهرة ثقافية ؛بمعنى ربط الأدب بسياقه الثقافي.

لقد صار النقد من منظور النقد الثقافي مشروعا في كشف الأنساق وفضح العيوب الثقافية وتسمية الخلل باسمه ومنحه اسما لم يكن له ،ولم يعد النقد بحثا في الجميل البلاغي ،وإنما هو بحث فيما تحت القناع الجمالي(7).

يتضح لنا من خلال هذه الاشارة لماهية النقد الثقافي أنه قد جاء ليبين العيوب من خلال الغوص في ثقافة المبدع وكشف ما يضمره من أنساق يقوم بتمريرها عن طريق أقنعة الإبداع المختلفة،في المقابل نجد حفناوي بعلي يرى بأن النقد الثقافي لا يدور حول الفن والإبداع فحسب وإنما حول دور الثقافة في نظام الأشياء بين الجوانب الجمالية والأنثروبولوجية(الإنسانية)بوصفه دورا يتمايز في أهميته وخطورته ليس بما يكتشف عنه من الجوانب السياسية والاجتماعية فقط بل لأنه يشكل كذلك النظم والأنساق والقيم والرموز والعلامات ويصوغ وعينا بها وإدراكها(8)

فمن خلال النقد الثقافي يهتدي الناقد الى القرائن الثقافية التي يمكن التوصل من خلالها الى تفسير كثير من الاشكالات والظواهر في الأدب وتاريخه ونقده،وعليه يتغير كثير من المفاهيم القارة والثابتة (...)لذا ظهر الاهتمام بأدب الأقليات المهمشة والطبقات المقصية عن المركز،ونشطت الدراسات النسائية والنقد النسائي(...)وقام النقد الثقافي بمعالجة هذه القضايا من خلال توظيف خطاب بإمكان كل أمة أن تعيد قراءة تراثها وحاضرها(9).

إذن فالنقد الثقافي من خلال هذا الطرح عبارة عن مقاربة متعددة الاختصاصات تنبني على التاريخ وتستكشف الأنساق والأنظمة الثقافية وتجعل النص أو الخطاب وسيلة أو أداة لفهم المكونات الثقافية المضمرة في اللاوعي اللغوي والأدبي والجمالي من خلال إعادة الإنتاج.

**ثالثا:مفهوم النسق في النقد الثقافي**

يقول عبد الله الغذامي:"لقد أدى النقد الأدبي دورا مهما في الوقوف على (جماليات)النصوص ،وفي تدريبنا على تذوق الجمالي وتقبل الجميل النصوصي ،ولكن النقد الأدبي(...)أوقع نفسه وأوقعنا في حالة من العمى وظلت العيوب النسقية تتنامى متوسلة

بالجمالي الشعري والبلاغي حتى صارت نموذجا سلوكيا يتحكم فينا ذهنيا وعمليا"(10).

يطرح الغذامي مفهوم"النسق" كمفهوم مركزي في مشروعه النقدي فيما يلي:

1-يتحدد النسق عبر وظيفته،وليس عبر وجوده المجرد،والوظيفة النسقية لا تحدث إلاّ في وضع محدد ومقيد،من خلال تعارض نسقان أو نظامان أحدهما ظاهر والآخر مضمر.

2-النسق من حيث هو دلالة مضمرة فإن هذه الدلالة ليست مصنوعة من مؤلف ولكنها منكتبة ومنغرسة في الخطاب ،مؤلفتها الثقافة.

3-النسق ذو طبيعة سردية ،يتحرك في حبكة متقنة،لذا فهو خفي مضمر وقادر على الاختفاء دائما،يستخدم أقنعة كثيرة .

4-الأنساق الثقافية أنساق تاريخية أزلية راسخة ولها الغلبة دائما،وعلامتها هي اندفاع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي على هذا النوع من الأنساق(11).

نستخلص مما سبق أن النسق من وجهة نظر النقد الثقافي وما طرحه الغذامي يتلخص فيما يلي:

أن النسق هو حالة ثقافية يقوم على التضاد ولابد من نسق ظاهر وآخر مضمر،كما أنه يتضح من خلال الدلالة النسقية التي تكون منغرسة في النصوص وهي من إنتاج الثقافة،ويكون ظهور النسق على شكل أقنعة متنوعة وهذه الأنساق هي أنساق تاريخية أزلية مبثوثة في اللاشعور الجمعي.

"فالنسق الثقافي خطر وخطورته تكمن في كونه مضمرا كامنا،حيث يمارس تأثيره دون رقيب وحينما يأتي النقد لكشف هذه الأنساق فإنه بذلك يحرك سكونا ذهنيا وبشريا كان مطمئنا ومن ثم راضيا عن نفسه"(12).

هذا الكمون والإختفاء يجعل من كشفه شيئا صعبا ،خاصة في مظاهر الثقافة الشعبية مما يشكل نوعا من الحساسية في معالجة هذه المظاهر من خلال الكشف عن أنساقها المضمرة بحكم أن منتجها الشعب وهو نفسه حاضنها،وهي بمثابة الهوية القومية لمنتجي هذه الثقافة الشعبية .

**الأصول التاريخية والأسطورية لإحتفالية يناير**

يرتبط إحياء طقوس يناير بمجموعة من الأساطير التي يرويها السكان المحليون وأشهرها على الإطلاق أسطورة القائد"ششناق" قاهر الفراعنة الذي حكمت أسرته مصر لمدة قرنين،وتختلف الروايات اختلافا كبيرا في أصل "ششناق" وكيفية استيلائه على بلد الفراعنة فبعضها يروي أنه من بني سوس وأنه صد هجوما قرب مدينة تلمسان غرب الجزائر قام به الفراعنة للسيطرة على بلاد الأمازيغ ،وهزمهم شر هزيمة وطاردهم حتى بلادهم واستولى عليها ونصب نفسه فرعونا لمصر وما جاورها،وتم الاحتفال بهذا النصر العظيم واختياره ليكون بداية التقويم الأمازيغي تقديرا لهذا القائد ،في حين تذهب بعض الروايات الى أن "ششناق"ينحدر من قبيلة أمازيغية ليبية وكان عادلا متسامحا لدرجة أن المصريين التجؤوا إليه ليخلصهم من ظلم الفرعون ونصبوه ملكا عليهم.

فيما تذهب رواية ثالثة الى أن "ششناق" كان قائدا عسكريا في جيش الفرعون سمحت له الفوضى والاضطرابات التي عانت منها مصر أن يسيطر على مقاليد الحكم ونصب نفسه ملكا عليها (13).

**أسطورة يوم العجوزة**

بالإضافة الى حادثة البطل الأمازيغي"ششناق"يروي الأمازيغ أسطورة يوم العجوزة التي استهانت بقوى الطبيعة،واغترت بنفسها ونسبت صمودها ضد الشتاء القاسي إلى قوتها ولم تشكر السماء وشتمت يناير قائلة"لقد مرت أيامك كأنها الربيع،وها أنت ستغادر ليحل فورار"شهر فيفري"الذي لن يصيبني فيه البرد ولن تعرقلني الثلوج"غضب يناير كثيرا وطلب من فورار "فبراير" إعارته يوما وليلة كي ينتقم من العجوز التي شتمته فلبى فورار رغبته وتنازل له عن يومين من عمره ،خرجت العجوز إلى حقلها ومعها غنمها وهي مطمئنة بأن يناير قد رحل،وهنا استدعى يناير البرد والثلوج والرياح ،لتلقى العجوز حتفها مع قطيعها(14).

الأنساق الثقافية في إحتفالات يناير عند الأمازيغ في الجزائر

تحتفل مختلف القرى والمدن والولايات في القطر الجزائري، وبخاصة المناطق التي يتواجد بها العنصر البربري أو الأمازيغي برأس السنة الأمازيغية"يناير"أو"ينار"أو"أسقاس"...وغيرها من التسميات التي تختلف باختلاف اللهجات،ويتم إحياء هذه المناسبة في جو طقوسي مليء بالعادات والتقاليد التي لا تزال راسخة في وجه النسيان،والتي سنحاول عرض أهم مظاهرها ودلالاتها الرمزية والكشف عن أنساقها الثقافية المضمرة فيما يلي:

**أهم مظاهر إحتفالات يناير ودلالاتها الرمزية:**

تعد مناسبة الإحتفال بيناير "السنة الفلاحية"مجالا خصبا للمخيال الشعبي الأمازيغي لاستحضار ممارسات طقوسية تم توارثها جيلا بعد جيل ،وفي هذه المناسبة الثقافية الأمازيغية السعيدة يبتهج فيها البيت الأمازيغي بإقامة طقوس تحمل طابع التقديس،حيث يتم في هذا اليوم مايلي:

-تغيير حجارة الموقد بأخرى جديدة،ودفن رماد المواقد القديمة وهذا يندرج ضمن مفهوم الخصوبة الواسع الذي يحمل رمز التجديد وإعادة الحياة،ويمكن إدراج هذه الممارسة أيضا كعلامة على التوبة والتواضع ففي رمزية الرماد في الثقافات الأخرى كالمسيحية والهندوسية يرمز للتواضع والتوبة ،وفي التوراة تعبر كلمة تدثر بالرماد عن الحزن،وأيضا عن حالة المذنب والتائب(15)،وهذه الرمزية يمكن ربطها بحادثة العجوزة كدلالة للتوبة من ذنب العجوزة والتواضع لقوى الطبيعة.

- تحضير وجبات من مكونات وخيرات الطبيعة تقام على ما يتم ذبحه لهذه المناسبة وغالبا ما يتم ذبح ديك لونه أسود،وسط حقل زراعي ،وتكون هذه تقدمة من كل بيت فالديك عن كل رجل والدجاجة عن كل امرأة،وهذه ممارسة لإبعاد الشر وجلب الخير،وجاء أيضا في رمزية هذا الحيوان ما أورده فيليب سيرنج أن الديك كان على الدوام طائرا شمسيا ،رمز الكوكب والنور المتولد،والديك يصيح قبل شروق الشمس،وبذلك فهو رمز الحيوية،وصياحه علامة تشتت الأشباح الطائفة أثناء الليل(16)،وقد وجدت صورة الديك منقوشة الى جانب "ميركور"اله التجارة لأنه يدعو البشر إلى العمل، ويضيف" في اللغة الحديثة،مايزال الديك رمز الرجولة"(17).فهذا الحيوان وبما يحمله من رمزية له مكانته القارة في هذه الاحتفالات.

-إعداد الحلويات التي هي أيضا من نتاج الطبيعة كالرفيس والطمينة وغيرها والتي تحمل بدورها رمزية الاحتفال وكذا الإرتباط بالأرض،والأرض تحمل دلالة الاصل والعطاء والخير،ووفق معتقد شعبي سائد أنه من يحتفل بيناير يبعد عن نفسه الحسد وأذى الدهر،وأيضا من يشبع يوم احتفال يناير من أكل خيرات ما يقدم سيظل كذلك طيلة العام.

-يتم أيضا عشية السنة الأمازيغية الجديدة إعداد الطبق التقليدي "أمنسي انيناير" المتمثل في طبق الكسكسي المرفق بأنواع اللحوم والخضر،يتم استهلاكه جماعيا في صحن واحد"قصعة من الطين أو الخشب"اعتقادا منهم أنها فرصة سانحة للجميع في أن يتصالحوا ويتركوا النزاعات جانبا،والملاحظ في هذه المناسبة أن جل الأطعمة التي يتم تحضيرها مكونها الأساسي هو القمح الذي يعتبر عند بعض الشعوب علامة الرخاء،حيث وفي أعياد الميلاد،يأكلون أطباقا وطنية معدة من القمح،وحلوى موضوع عليها سكر مع قمح(18). فالقمح من بين أنواع الحبوب الأخرى له مكانة مقدسة في جميع الحضارات الإنسانية، ففي القرآن الكريم ذكر القمح بلفظه أو بلفظ الحب في عديد المواضع من الذكر الحكيم منهاعلى سبيل الذكر لا الحصر:"الحج5"،"النبأ15"-"الأنعام95"،"عبس25-27"،"البقرة261"،الرحمان12"،"يوسف47"(19) ويبين مكانته في الميثولوجيا العالمية فيليب سيرنج بقوله:"في كل مكان، كانت السنابل الأولى-بواكير المحصول-تقدم للآلهة ففي آرغوس حيث كانت تزدهر عبادة هيرا كانت سنابل القمح تسمى(زهور هيرا)ولكن السنابل كرست بصورة خاصة لديمتير فقط ربة الأرض والخصب"(20)وفي احتفالات يناير يتم تعليق حزمة من سنابل القمح(أول المحصول)على أبواب المنازل كتعويذة جالبة للحظ مرتبطة بالطقوس الزراعية كاعتقاد أن " في السنبلة الالهية،يستقر أكثر وأفضل غذاء طبيعي"(21).

- ويتم أداء رقصات فلكلورية كالرحابة التي تحمل أيضا رمزية الانتماء للأرض والتجذر والتأصل فيها من خلال ضرب الأرض بالأرجل بقوة مع ترديد أغاني أصيلة تحمل معانيها أدعية حتى يكون العام الجديد عام خير وبركة(22).

-كما ترتدي في هذا اليوم النسوة أجمل الثياب المصحوبة بالحلي التقليدية التي تحمل رموزا تعكس ثقافة حاملها ،فالحلي تصلح كعلامة على الهوية قادرة على الترميز لأصل ومكانة الفرد الذي يحملها،فبالإضافة إلى وظيفتها النفعية التجميلية لها وظائف اجتماعية،رمزية سحرية و دلالة على الهوية،فهي تحكي أساطير الماضي وتقاليد حضارة عتيقة،مستوحاة من الميثولوجيا والأساطير القديمة بأشكالها الهندسية وألوانها التي تحمل مدلولات متجذرة في الفكر الانساني،كرمزية الكف والعين التي ترتديها المرأة كحلية ومعروفة بالخمسة في الوسط الشعبي،فهي تستعمل ضد الحسد،فالاعتقاد بالحسد والعين الساحرة آمنت به معظم الشعوب منذ القديم الى يومنا هذا.

فالشعوب البدائية مرورا بالسومريين والإغريق والفينيقيين جميعا آمنوا بالعين الشريرة وكذلك اليهود والعرب والأوروبيون،فرمز الكف كان ضد شر العين واللسان في العهد الروماني وكان له عمل سحري عند الأوروبيين(23)،فقد عرف الكف تحت أسماء متعددة "يد الرب"و"يد الإله بعل"في المسلات الفينيقية والقرطاجية و"يد مريم"عند الأوروبيين و"كف فاطمة" في الشمال الافريقي وبلاد المغرب وعرف ب"كف عائشة "أيضا(24)،فالخمسة لها مدلول سحري في المفهوم الشعبي حيث يقال "خمسة وخميسة في عين العدو"أي اليد والأصابع في وجه الأشرار.الخمسة كانت علامة شؤم عند الشعوب الشرقية ويقال أنه في اليوم الخامس من أحد الأشهر القمرية أخرج الله آدم من الجنة ،وأصيب فيه قوم النبي يونس،ورمي فيه النبي يوسف في الجب(25) أما اسلاميا فالرقم خمسة "مبارك وعظيم"لأن أصول الدين الاسلامي خمسة والصلوات اليومية خمسة. بينما ما يلاحظ في الحلي التقليدية التي ترتديها المرأة الأمازيغية أن صورة الكف ترافقه العين وهذا دليل على أنها أداة لصد الحسد الذي ترمز له العين التي تتوسط الكف.

أما عن الأشكال الهندسية التي تزين الحلي فهي قديمة العهد عرفت في الحضارات السابقة واستعملت في الزخارف الاسلامية ،وهذه النزعة نحو التجريد وصياغة المظاهر الطبيعية في أسلوب هندسي من الصفات الأساسية التي تميز شعوب البادية بشكل عام(26) ومن أهم الأشكال والوحدات الهندسية المستعملة كانت الدوائر المتماسة والمتداخلة والمتجاورة والخطوط على أنواعها،والمثلث والمربع.

**الأنساق الثقافية المضمرة:**

**أ-النسق الأسطوري:**

إن الاحتفال بيناير يجسد لنا ثقافة شعب ممتد على طول شمال افريقيا لثقافة ضاربة في أعماق التاريخ،ليتم إحياؤه بجملة من الطقوس ذات طابع احتفالي مرتبط بحدث تاريخي وأسطوري،إلا أننا وبالنظر إلى هذه الطقوس والممارسات التي تؤدى ليلة 12 يناير نجدها طقوسا مرتبطة بالجانب الميثولوجي ،فهي نوع من الطقوس الدورية الكبرى التي ترتبط بأساطير التكوين،فالطقس هنا هو إعادة إحياء للأسطورة،التي تحولت إلى سلوك يستهدف استعادة الزمن الميثولوجي البدئي؛هذا معناه أننا لم نعد نعيش في الزمن التأريخي،بل في الزمن الأول|الأصل،إنه زمن الأسطورة،القوي والقدسي."فالأساطيرتكشف لنا أن العالم والإنسان والحياة لهم جميعا أصل وتاريخ خارقان،وأن هذا التاريخ دال ،ثمين ومثالي(27). وبالعودة إلى الطقوس الممارسة أثناء احتفالات يناير نجد ما يجسد النسق الأسطوري بجانبه الاعتقادي بصورة جلية من خلال الممارسات التالية:

1-ذبح الذبيحة في الحقول الزراعية رمزية لتقديم القرابين عن طريق الدم المسال،كقربان لقوى الطبيعة استرضاء لها ،وهي من الطقوس المرتبطة بأساطير الخصب بهدف استعادة دورة الحياة وإحياء الطبيعة النباتية والانبعاث بعد انقضاء الشتاء،ودفع دورة الفصول التي لاغنى عنها للحياة الزراعية.

2-ما يقوم به المحتفلون من طقوس لا تتخذ صفة العبادة لقوى الطبيعة وإنما المشاركة مع هذه القوى من أجل مساعدتها على الانبعاث من جديد، حيث أن ربات البيوت تحرصن على استبدال الأواني القديمة بأخرى جديدة ،وأيضا تغيير حجارة الموقد القديمة بأخرى جديدة مصبوغة باللون الأخضرالمستخلص من فرك الحجارة البيضاء

بقليل من العشب الأخضر،ومن هنا نستنبط هذا النسق الأسطوري الذي يتمسك به البربرلأنه متجذر في الذاكرة الشعبية الجمعية المشتركة.

**ب-نسق الأنا والآخر:**

إن حادثة انتصار القائد ششناق جانبت التاريخ لتدخل في حيز الأسطورة،لأنها حادثة ارتبطت بالزمن الغابر،زمن البدايات الأولى،وهي تروي كيف تشكل الأمازيغ،أين اكتشفوا هويتهم في مقابل الآخر والآخر هنا هم الفراعنة،لذا يتم استدعاء هذا الحدث كحدث أسطوري ارتدادي على عكس الحدث التاريخي،وهنا يظهر نسق الأنا والآخر أو كما ذهب إليه نادر كاظم تمثيلات الآخر. فالآخر يتغير بتغير الأجيال،ولكن يبقى الهدف واحد ألا وهو البحث عن الأنا وتثبيت الهوية،ففي الزمن الأسطوري الأول للحدث التاريخي انتصر الأمازيغ على الفراعنة، ولفظة الفرعون تتضمن عدة دلالات تحيل على القوة العظمى والجبروت،والسلطة،ليكسروا كل هذه الحواجز ويثبتوا تفوقهم ويضمنوا تميزهم،وهم يلجؤون إلى هذا الزمن الأول لاستعادته وعيشه من خلال الطقس الدوري لأن الزمن المقدس كما أشرنا سالفا ليس زمنا خطيا يمتد من الماضي إلى الحاضر ،بل هو زمن ارتدادي يمكن استرجاعه والدخول فيه، إن نسق الأنا والآخر فكرة نمتها وغذتها السياسة الاستعمارية الفرنسية فور وصولها لأرض الجزائر،فقد عملوا على خلق هذا التضاد من خلال ترويج الفكرة البربرية والدعوة إلى خلق كيان بربري مفصول عن باقي جسم الشعب الجزائري،وقد تم تتويج هذه الفكرة على الصعيد السياسي بظهور ما يسمى ب"الظهير البربري"سنة1914(28)،وقد تم ذلك من خلال خلق جو ثقافي مناسب في الجزائر منذ بداية الاحتلال لتكريس ثقافة الآخر المتمثلة في العنصر العربي الوافد على العنصر البربري الساكن الأصلي،وذلك من خلال رصد الاختلافات في العادات والتقاليد والذهنية لكلا الجانبين(البربري والعربي)(29).

**ج-نسق الحياة والموت:**

من خلال احتفالات يناير يتم الدخول في هذا الزمن المقدس من أجل الاستعانة بقوة الأصول لتجديد الحاضر وبعث الحياة في المستقبل،وهنا يتبدى نسق الحياة في مقابل نسق الموت،نسق الموت الذي يمثله انقضاء السنة الماضية بما تحمله من آلام وأمال ،ونسق الحياة يتم من خلال مشاركة قوى الطبيعة في إعادة صنع عالمهم وهويتهم واستحضارها من أعماق التاريخ ممثلة في إعادة الحياة لسنة جديدة.

**د-النسق الطبيعي:**

إن احتفالات يناير بشقها التاريخي والأسطوري تحيل إلى التكوين الأول للأمازيغ المرتبط بالخصب الدوري للأرض وانبعاث الفصول من جديد،فالأرض كرمز للعطاء والخصوبة، وهي الأم الحاضنة،ومنها تولد كل الخيرات التي تسمح لساكنة هذه الأراضي ؛أي الفلاحين بالتجدد معها مع كل انبعاث ،لذا نجد أن الأرض لها المساحة الواسعة من هذه الاحتفالات التي تقام في يناير،إضافة إلى رمزية الغذاء المقدم اثناء هذه الاحتفالات وارتباطه بالطبيعة،وهذا النسق الطبيعي المرتبط بعناصر الطبيعة هو النسق المركزي في مقابل نسق هامشي سياسي يصارع النسق المركزي من أجل الهيمنة.

**هـ-النسق السياسي:**

إن النسق السياسي يتبدى من خلال ثقافة الاختلاف والمغايرة التي كانت بداياتها مع محاولات الاستعمار الغاشم الذي حاول غرس هذه الثقافة في أواسط الشعب الجزائري وصولا إلى بعض الحركات المناوئة لوحدة الشعب الجزائري التي اتخذت من هذه الاحتفالات فرصة لتمرير ايديولوجية وثقافة الآخر في مقابل الأنا.

**و-نسق الاختلاف والمغايرة:**

إن نسق الاختلاف والمغايرة يظهر في محاولة تغليب النسق التاريخي على الاسطوري لاحتفالات يناير من خلال التركيز على حادثة القائد "ششناق" وانتصاره على الفرعون والتي في كثير من كتب التاريخ لا يتم ذكرها كحدث تاريخي واقعي

هذه الثقافة التي تحاول التسلل داخل جسد الشعب الجزائري لها دوافع هو البحث عن أرضية تاريخية لحضارة الأمازيغ،فالأمازيغ وأصلهم ضارب في الزمن الغابر للحضارات الانسانية ،لكنهم لم يمتلكوا حضارة تحاكي الحضارات الأخرى لعل السبب في ذلك راجع إلى طبيعة المجتمع الأمازيغي القائم على القبلية والحل والترحال ،فهم أهل بداوة يمتازون بالتنقل،والحضارة تنبني داخل المجتمعات القارة ،هذا من جهة ومن جهة أخرى افتقارهم للغة مكتوبة افقدهم حق التواجد ضمن جملة الحضارات التي شهدتها البشرية،لأن اللغة هي وعاء الفكر ووسيلة نقله عبر الأجيال ،ونسق الاختلاف والمغايرة يظهرأيضا في اعتماد تأريخ مخالف لما ارتضاه المجتمع ألا وهوالسنة الأمازيغية بالموازاة مع التأريخ الميلادي والهجري،كما يتجلى هذا النسق أيضا في رفع راية الأمازيغ التي تحمل رمز الحرية أثناء الاحتفالات والتظاهرات المختلفة ،فالراية من مقومات الهوية الوطنية ومخالفتها يعتبر انتهاكا للوطن.كل هذه الممارسات التي تسعى لتمرير ثقافات مختلفة تحت أقنعة احتفالية التي هي في أصلها ذات طابع اجتماعي ،طبيعي،شعبوي نابع من وعي جمعي بانتماء الانسان للأرض وضرورة تكريمها وخدمتها فهي بمثابة الأم الحاضنة ،وبالرغم من محاولات تغليب نسق الأنا والآخر ،نسق الاختلاف والمغايرة إلا أن النسق الطبيعي هو النسق المركزي لهذه الاحتفالات.

**خاتمة:**

اكتسبت الثقافة في الآونة الأخيرة أهمية خاصة ،حيث بدأت الحكومات تنظر إليها بوصفها سببا في الصراعات الدائرة بين الشعوب،وبدأ الاهتمام بها وبدراستها يزداد على نحو واضح ويخرج بها عن نطاقها التقليدي إلى نطاقات أخرى أرحب وأكثر اتساعا حيث طرحت اسئلة حول كيفية تغيير ثقافات الشعوب وإمكانية حدوث ذلك من الأساس

وماهي علاقتها بالصراعات السياسية في العالم،والنقد الثقافي يعد مدخلا مناسبا لفهم النصوص على اختلاف أنواعها بشكل ثقافي،لأن كشف الأنساق المضمرة يمكن من الوقوف على الخلفيات الثقافية الحقيقية لبعض مظاهر الثقافة الممارسة. -كاحتفالات يناير التي تجسد نسق أسطوري نابع من معتقد أمازيغي ممرر من خلال جملة الطقوس الدورية الممارسة المرتبطة بأساطير الخصوبة.

- أيضا تمرر نسق اجتماعي متمثل في وحدة العنصر البربري، من خلال الحادثة التاريخية للقائد ششناق الذي ومن خلال اختلاف الروايات حول أصله(جزائري-ليبي-مصري)فهو يجسد انتماءه لشمال افريقيا ككل،فمن خلال هذه الحادثة يصبح أمازيغ شمال افريقيا كأمة واحدة تشترك في التاريخ والأرض وهذا ما يجسد هذه الوحدة.

-احتفالات يناير في أصلها احتفالية بالأرض المعطاء التي منها وجد الانسان واليها يرد لذا على الانسان تكريمها وخدمتها .

-احتفالات يناير يمكن استغلالها لتمرير ثقافة الهوية من خلال نسق الأنا والآخر وهذا التضاد هو ما يتم استغلاله لزعزعة وحدة الشعوب من طرف بعض الأطراف.

-الكشف عن الأنساق المضمرة يسمح بالتعرف على الثقافة كعامل حاسم في تكوين الحضارات ونموها وتطورها وكمكون أصيل للشعوب.

## إحالات البحث

2-1-ينظر: محمود مفلح:البحث الميداني في التراث الشعبي(عرض-مصطلحات-توثيق-مقترحات-آفاق)،منشورات وزارة الثقافة،مديرية التراث الشعبي،دمشق،2009،ص78-79.

3-ينظر، طلال حرب:أولية النص،نظرات في النقد والقصة والاسطورة والادب الشعبي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،بيروت، لبنان،1999،ص80

4-يسمينة شرابي:الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري"نماذج من رحلات القرن العشرين"،مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي-تخصص دراسات أدبية ولغوية،جامعة أكلي محمد أولحاج -البويرة-الجزائر-2012-2013،ص16.

5-محمد سعيدي:من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة أنموذجا،مطبوعات الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الجزائرية الشعبية،1995،ص6-7.

6-ينظر،ابراهيم خليل :في النقد والنقد الألسني،أمانة عمان الكبرى،دط،2002،ص126.

7-نادر كاظم:تمثيلات الآخر،صورة السود ،في المتخيل العربي الوسيط،المؤسسة الوطنية العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1 ،2004،ص9.

8-ينظر حفناوي بعلي:مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2007،ص15.

9-ينظرناهضة ستار عبيد:أثر الأنساق الثقافية في تشكيل الخطاب السردي الصوفي،مجلة القادسية للعلوم الإنسانية،مج11،عدد4 ،2008،ص168.

10-ينظرعبد الله محمد الغذامي:قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي،المملكة المغربية،الدار البيضاء،ط2005،3،ص7-8.

11-ينظر،م.ن،ص80،81،82،83.

12-نادر كاظم:تمثيلات الآخر،السود في المتخيل العربي الوسيط،ص9.

13-14)ينظر،مبروك بطقوقة،"يناير الأمازيغ طقوس وأساطير"،السفير العربيarabic.assafir.com.21/01/2015

15-ينظر فيليب سيرنج :الرموز في الفن –الاديان- الحياة:تر:عبد الهادي عباس،داردمشق،سورية،دمشق ط1 ،1992،ص،348.

16-ينظر:م.ن،ص184،185

17- م.ن،ص،186.

18-ينظر:المرجع السابق نفسه،ص311.

19-القرآن الكريم.

20-21-فيليب سيرنج:الرموز في الفن –الاديان-الحياة،ص311.

22--ينظر: عقون حنان،الموروث المادي ودلالته في المخيلة الشعبية-مادور أنموذجا-،مذكرة لاستكمال متطلبات الماستر،جامعة الطارف،كلية الآداب واللغات،قسم اللغة العربية،2014،ص69-70-71

23-أكرم قانصو:التصوير الشعبي العربي،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1995،ص89.

24-م،ن،ص90

25-م،ن،ص،ن.

26-م،ن،ص110.

27-خليل أحمد خليل:المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع،دارالحداثة للطباعة والنشروالتوزيع، بيروت،لبنان،ط1 ،1984،ص18.

28-عبد الحميد بورايو:الأدب الشعبي الجزائري،دراسة للأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر،دار القصبة للنشر،الجزائر،2007،ص10.

29-م.ن،ص11.

## قائمة المراجع


1. أكرم قانصو:التصوير الشعبي العربي،عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،1995.
2. ابراهيم خليل :في النقد والنقد الألسني،أمانة عمان الكبرى،دط،2002.

3. حفناوي بعلي:مدخل في نظرية النقد الثقافي المقارن،منشورات الاختلاف،الجزائر،ط1 ،2007.
4. خليل أحمد خليل:المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع،دارالحداثة للطباعة والنشروالتوزيع،بيروت،لبنان،ط1 ،1984.
5. طلال حرب:أولية النص،نظرات في النقد والقصة والاسطورة والادب الشعبي،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع،ط1،بيروت، لبنان،1999.
6. عبد الحميد بورايو:الأدب الشعبي الجزائري،دراسة للأشكال الأداء في الفنون التعبيرية الشعبية في الجزائر،دار القصبة للنشر،الجزائر،2007.
7. عقون حنان،الموروث المادي ودلالته في المخيلة الشعبية-مادور أنموذجا-،مذكرة لاستكمال متطلبات الماستر،جامعة الطارف،كلية الآداب واللغات،قسم اللغة العربية،2014.
8. فيليب سيرنج :الرموز في الفن –الاديان- الحياة:تر:عبد الهادي عباس،داردمشق،سورية،دمشق ط1 ،1992،ص،348.
9. كاظم:تمثيلات الآخر،صورة السود ،في المتخيل العربي الوسيط،المؤسسة الوطنية العربية للدراسات والنشر،بيروت،لبنان،ط1 ،2004.
10. مبروك بطقوقة،"يناير الأمازيغ طقوس وأساطير"،السفير العربي21/01/2015.arabic.assafir.com.
11. محمد سعيدي:من أجل تحديد الإطار المعرفي والاجتماعي للمعتقدات والخرافات الشعبية ظاهرة زيارة الأولياء والأضرحة أنموذجا،مطبوعات الأبحاث في الانتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية الجزائرية الشعبية،1995.
12. محمود مفلح:البحث الميداني في التراث الشعبي(عرض-مصطلحات-توثيق-مقترحات-آفاق)،منشورات وزارة الثقافة،مديرية التراث الشعبي،دمشق،2009.
13. يسمينة شرابي:الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري"نماذج من رحلات القرن العشرين"،مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي-تخصص دراسات أدبية ولغوية،جامعة أكلي محمد أولحاج -البويرة-الجزائر-2012-2013.